

قوله تعالى : { ذَالِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْزَعَهَا عَنْكَ قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * كَذَٰبُ آبِءِ الْعَالِ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَاهُ الْفِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَاذِبٍ طَالِمِينَ * إِنَّ شَرَّ الدِّينِ دِينُ الْإِسْلَامِ عِنْدَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَلْعَلُونَ * وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ * وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَيَقُولُوا إِنْ زَعَمُوهُمْ لَا يُعْجِزُونَ * وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِيبُونَ بِهِمِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُؤَفِّسْهُ لِيُغْلِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ زَعْمَهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَقَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَآكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَ زَعْمِهِمْ إِنْ زَعَمُوهُ . . .

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه . وأوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ } وأوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ سِوَاءَ مَا كَرَدَ لَهُ } وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ { ، وقوله : { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ } ، وقوله : { مَّا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ } إلى غير ذلك من الآيات . ! 77 ! قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } .

حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } . .

قال بعض العلماء : إن قوله : { وَمَنْ اتَّبَعَكَ } في محل رفع بالعطف على اسم الجلالة ، أي حسبك □ ، وحسبك أيضاً من اتبعك من المؤمنين . .

وممن قال بهذا . والحسن ، واختاره النحاس وغيره ، كما نقله القرطبي ، وقال بعض العلماء : هو في محل خفض بالعطف على الضمير الذي هو الكاف في قوله : { حَسْبُكَ } وعليه ، فالمعنى حسبك □ أي كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين ، وبهذا قال الشعبي ، وابن زيد وغيرهما ، وصدر به صاحب الكشاف ، واقتصر عليه ابن كثير وغيره ، والآيات القرآنية تدل على تعيين الوجه الأخير ، وأن المعنى كافيك □ ، وكافي من اتبعك من المؤمنين لدلالة الاستقراء في القرآن على أن الحسب والكفاية □ وحده ، كقوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّنْهُمْ رَضُوا مَآءَ آتَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } ، فجعل الإيتاء □ ورسوله ، كما قال : { وَمَآءَ آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ } ، وجعل الحسب له وحده ، فلم يقل : وقالوا حسبنا □ ورسوله ، بل جعل الحسب مختصاً به وقال : { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ } ؟ فخص الكفاية التي هي الحسب به وحده ، وتمدح تعالى بذلك في قوله : { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } ، وقال تعالى : { وَإِنْ يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } ففرق بين الحسب والتأييد ، فجعل الحسب له وحده ، وجعل التأييد له بنصره وبعياده . .

وقد أثنى سبحانه وتعالى على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه